اللطائف

الجزء الثاني من السنة الثالثة

١٥ (حزيران) يونيو ١٨٨٨ = الموافق ٥ شوال سنة ١٣٠٥

الوزارة الرياضيَّة

طَرِبت مصر فرحًا وحقَّ لها ان تطرب بعَوْد الوزير الخطير دولتلو رياض باشا الى رئاسة مجلس النظار لانهُ رجلها الصادق الوطنيَّة الخبير باحوال البلاد الغيور على تقدمها وفلاحها المعطى من الله عزمًا وحزمًا واقدامًا والله يعطي مَنْ يشاء بغير حساب . وقد رأت البلاد في وزارتهِ السالفة خيرًا واسعادًا لم ترهما من قبلُ ولا بعدُ وتوالت عليها الكوارث لما استقال من الوزارة حتى بلغت شكواها السبع الطباق . ولما كانت الجرائد لسان حال الامَّة تسابقت كلها الى الدعاء بتأييد خديوينا المعظَّم لانهُ سهَّل العقاب السياسيَّة التي لاجلها امتنع وزيرهُ وصفيُّهُ من رئاسة مجلس النظَّار هذه السنوات الشداد . والى تقديم الشكر للوزير الخطير لانهُ اجاب دعوة اميرهِ وفضَّل التعب في خدمة الوطن على الراحة في مطالعة الكتب وتنزيه الطرف بمراقبة الطبيعة . والآن كل قلب طافحٌ بالسرور وكل لسان ناطقٌ بالدعاء والناس على اختلاف اجناسهم وطبقاتهم متوقّعون ان تعود ايام الخير والاسعاد . أيَّد الله خديوينا المعظَّم ووفَّق وزراءهُ الكرام الى ما بهِ خير البلاد والعباد

رحلة لفنستون الى افريقية

الفصل الثاني

يسافر الناس في جنوبي افريقية في مركبات تجرها الثيران . والمركبات رحبة فيجلس فيها المسافرون نهاراً وينامون ليلاً ويتقون بها حرّ النهار وندى الليل . وقد يسافرون راكبين على ظهور الثيران وكان عند لفنستون ثور اسمهُ سنباد كان يركب عليهِ في بعض اسفارهِ ويقطع بهِ الانهار ولكنهُ لم يسافر راكبًا عليهِ في السفرة الاولى بل راكبًا في مركبة تجرها عشرة من الثيران . واقام في مقر المرسلين في كرمان الى ان ارتاحت الثيران كما تقدم في الفصل الاول ثم ذهب شمالاً ونزل على قبيلة الباكوان واقام فيها ستة اشهر يدرس لغتها وهناك تعرَّف بسخيل رئيس هذه القبيلة فرأى منهُ رجلاً كريماً ودوداً كما سيجيء ثم ارتحل عنها وضرب في البلاد شرقًا وغربًا حتى بلغ الاوقيانوس الهندي من جهة الشرق والاتلنتيكي من جهة الغرب واكتشف بحيرة ديلولا التي يصدر منها نهران احدهما يصب في غربي افريقية والاخر في شرقيها . ولما كان نازلاً على قبيلة الباكوان ارشدها الى كيفية ري اراضيها باقامة سد للنهر الجاري بجانبها حتى يرتفع ماؤُهُ ويتسلط على اراضيها . وعلمها كيفية بناء البيوت المربعة وتعلَّم منها صناعة الحدادة ثم فاقها بها وكانت زوجتهُ تصنع الصابون والشموع وهو يطبب ويعلم ويبشر ويرشد الاهالي في بناء بيوتهم وزراعة اراضيهم

وسخيل رئيس الباكوان رجل بدِن طويل القامة فاحم اللون كبير العينين . فلما اجتمع بهِ لفنستون واخبرهُ عن يوم الحشر والمعاد اضطرب

اضطرابًا شديدًا وقال لهُ ان آبائي واجدادي كانوا احياء في ايام آبائك واجدادك فلِمَ لم يقصدوا ارشادهم كما قصدتم ارشادنا . فبهت لفنستون من هذا السؤَال ثم قال لهُ ان السفر الى بلادكم كان صعبًا جدًا وهذا الذي منع اسلافنا عن رؤْية اسلافكم ولكننا مأمورون ان نطوف الارض كلها وندعو الناس كلهم الى ديننا . فقال لهُ سخيل وكيف يمكنكم ان تطوفوا الارض كلها وفيها مهامه وقفار يتعذَّر السفر فيها على كل احد ولو كان من السود . قال ذلك واشار الى صحراء كلاهاري الشاسعة . فقال لهُ لفنستون اني واثق بكلام مَن امرنا بطوفان الارض كلها ولذلك لا يتعذر عليَّ ان اقطع هذه الصحراء . وبعد قليل قطع لفنستون هذه الصحراء وكان سخيل من اكبر اعوانهِ على قطعها . ثم شرع يعلم سخيل القراءة وكانت التوراة قد ترجمت الى لغة قومهِ فلم يمضِ عليهِ وقت طويل حتى صار يقرأُ فيها . ولما رأَى لفنستون راغبًا في تنصير القبيلة كلها قال لهُ ان اردت فانا اجمع القبيلة واجبرها على الايمان ومن يعصى امري ادبتهُ بهذا السوط . وكان بيدهِ سوط من جلد الكركدن . فابان لهُ لفنستون ان ذلك مخالف لمبادىءِ الديانة النصرانية

ولما اوغل لفنستون في البلاد على ما تقدَّم وبلغ البورَ (وهم الهولنديون[1] المستوطنون في جنوبي افريقية) ان سخيل هذا اعتنق الديانة النصرانية وانهُ يمانعهم من اختلاس السود وبيعهم عبيدًا هجموا على بلادهِ وذبحوا ستين رجلاً من رجالهِ وبعضهم من اولادهِ ونهبوا كل مواشيهِ وامتعتهِ . فكتب الى مستر موفات المرسل الانكليزي المقيم في كرمان يخبرهُ بما فعل بهِ البور وارسل

---

(١) الهولنديون لا الدنيمركيون كما ورد في الفصل الاول

الكتاب مع زوجتهِ ومما قالهُ في هذا الكتاب الكلام الآتي" ايها الصديق المحب المخلص انا سخيل قد اهلكني البور : هجموا عليَّ وانا لم أُبادئهم بشر. طلبوا مني ان اخضع لهم فابيتُ وطلبوا ان امنع الانكليز من الذهاب الى الجهات الشمالية فاجبتُ ان الانكليز اصدقاء لي فلا يمكنني منعهم فاقبلوا عليَّ يوم السبت فطلبت منهم ان لا يحاربوني يوم الاحد فاجابوا طلبي ولكنهم شرعوا يطلقون الرصاص علينا يوم الاثنين قبل الفجر فحرقوا مدينتنا وبددوا شملنا".

وهذه الصورة العربيَّة مترجمة عن الصورة الانكليزية التي اوردها لفنستون ترجمةً تكاد تكون حرفية ويظهر ان الاصل الانكليزي منقول حرفياً عن اللغة التي كتب فيها سخيل. وعليهِ ففي انشاء هذا الرجل الافريقي المتوحش من البلاغة ما في كتابة امهر كتَّاب المتمدنين

ولما رأى سخيل جور البور واعتسافهم وسمع عن عدل ملكة الانكليز واقتدارها عزم ان يذهب الى بلادها ويعرض امرهُ عليها فاضعف المرسلون عزمهُ وبينوا لهُ مشقة السفر وكثرة النفقات . فقال هب انني بلغت اليها فهل تسمع دعواي اذا عرضتها عليها فقيل لهُ لا يبعد ان تسمع دعواك .فقام واستعدَّ للسفر وسافر مسافة الف ميل ولكن نفد كل ما معهُ من المال والمؤونة فاضطرَّ الى الرجوع . ولو اراد المرسلون لاوصلوهُ الى بلاد الانكليز على اسهل سبيل ولكنهم لم يفعلوا. ومن الغريب ان هذه السياسة يتبعها اكثر المرسلين في كل مكان فيضعفون هم الذين يريدون ان يذهبوا الى بلادهم ولا يقدّرون لهم الاَّ الخيبة وسوء المنقلب . فيعلمون الناس انهم من اصلٍ واحد ويبينون لهم بافعالهم انهم من اصول مختلفة لا يجوز اختلاطها وامتزاجها ولا ينجح بعضها كما

ينجح البعض الآخر. ولقد طالما ارتهم التجارب ان الناس من دمٍ واحد وان الافريقي الرابي في مهد الغباوة قد يفوق ابناء اوربا واميركا اذا تيسّرت لهُ وسائطهم. فصار عليهم ان يعدلوا عن خطتهم السابقة ولا يثبطوا همّة احد ولكنهم لم يعدلوا عنها حتى الآن. هذا ولنرجع الى ما كان من امر سخيل فنقول انهُ لما قطع الامل من الذهاب الى بلاد الانكليز عاد الى بلادهِ وجمع حولهُ القبائل التي ثقلت عليها يد البور وعزم على مقابلة القوة بالقوة

وكان لفنستون قد عزم على قطع الصحراء ورؤْية بحيرة نجامي وعزم سخيل ان يمضي معهُ فخاف ان يأتي البور ويفسدوا ما اصلح من شؤُون قومهِ. والى شمالي بحيرة نجامي قبيلة الماكولولو التي يرأسها الرئيس سبتوان المار ذكرهُ في الفصل الاول وكان لفنستون عازمًا على الوصول الى بلادهِ فقطع الصحراء وشاهد البحيرة ولكن القبائل التي حولها منعتهُ عن التقدُّم لانها خافت من انهُ يناظرها في تجارة العاج فارتدَّ جنوبًا والتقى بسخيل آتيًا وراءهُ ومعهُ زوجة لفنستون واولادهُ فحاول ان يعود في طريقهِ الى ان يبلغ بلاد الرئيس سبتوان ولكن صادفتهُ في الطريق ذبابة صغيرة اسمها التستس تلسع الماشية فتميتها بلسعةٍ واحدة. ومرض اولادهُ في الطريق وتفاقمت المصاعب في طريقهِ حتى اضطرَّ ان يعود على عقبهِ. ولما بلغ سبتوان مقصد لفنستون بعث بالهدايا النفيسة من الثيران الى رؤَساء القبائل الذين في طريق لفنستون اغراءً لهم على فتح الطريق لهُ ومساعدتهِ في السفر اليهِ ولكن لفنستون اضطرَّ ان يعود الى كرمان فعاد اليها. ولما ارتاح من مشقَّة السفر عاد فقطع القفر وواصل السير الى ان التقى بسبتوان. وكان سبتوان قد اتى لملاقاتهِ مسافة مئة ميل فترحَّب بهِ واهداهُ الهدايا

النفيسة من الثيران والعسل والجلود ورغبةٌ في الذهاب الى بلادهِ والاقامة فيها ولكن وافاهُ القدر المحتوم فقضى نحبهُ وهو يترحَّب بلفنستون. فعاد لفنستون الي بلاد الراس آنفًا وارسل زوجتهُ واولادهُ الى اوربا لكي لايعيقوهُ عن السفر في افريقية ثم رجع الى بلاد الباكوان فوجد ان البور قد هاجوهم في غيبتهِ وبددوا شملهم وعاثوا في ارضهم مفسدين فسدَّد خطواتهِ شمالاً وما زال سائرًا حتى بلغ بلاد الماكولولو بلاد الرئيس سبتوان التي عجز عن البلوغ اليها قبلاً . فرأى ان سكيلوتو قد أخذ رئاسة القبيلة بعد ابيهِ . وهو شاب في الثامنة عشرة من العمر اصفر اللون طويل القامة دون ابيهِ ملاحةً . ورجال الماكولولو يلبسون قميصًا من جلد البقر المدبوغ يصل الى ركابهم ويشتملون برداءٍ آخر من الجلد ويطلون ابدانهم بالسمن وهي عادةٌ شائعة في كل افريقية . ويلبسون الدمالج والخلاخيل في ايديهم وارجلهم وقلائد الخرز في اعناقهم . ولم يروا رجلاً ابيض قبل لفنستون ولا رأوا شيئًا من كماليات الحضارة قبل مجيئهِ اليهم . فحينما رأوا مرآتهُ عجبوا منها غاية العجب وكانوا يرون صورتهم فيها ويعجبون من قباحة مناظرهم . قال واحد منهم وقد نظر الى صورتهِ في المرآة "يقول الناس اني قبيح المنظر واراني اقبح مما يظنون"

وبعد ايام ركب لفنستون وسكيلوتو ورجالهُ القوارب وصعدوا في نهر ليمبي وهو واسع جدًّا عرضهُ من الضفة الى الضفة اكثر من ميل وعلى جانبيهِ الاشجار الغبياء وفيهِ كثير من فرس النهر وفي الغابات التي حولهُ كثير من الفيلة . ولبثوا سائرين شمالاً ضدَّ مجرى النهر الى ان بلغوا الدرجة الرابعة عشرة من العرض الجنوبي وهناك لاقتهم الذبابة المذكورة آنفًا فاضطروا ان يرجعوا على

اعقابهم ولا عجب فكم من ذبابة ادمت مقلة الاسد

واقام لفنستون عند سكيلوتو الى ان وقع المطر وبرَّد الارض فعزم حينئذٍ على السفر غربًا الى مدينة لواندا في غربي افريقية وهي على نحو الف ميل من بلاد الماكولولو. فجمع سكيلوتو مجلس شوراهُ واستشارهم في امر هذا السفر ثم عيَّن سبعة وعشرين رجلاً من رجالهِ ليرافقوا لفنستون الى لواندا عازمًا ان يفتح طريقًا للتجار بين بلادهِ وبينها. وكان هؤلاء الرجال يقدّرون العواقب اكثر من سيدهم فقالوا للفنستون هب انك متَّ في الطريق افلا يطالبنا البيض بك لاننا اخذناك الى بلاد خبيثة الهواء كثيرة الاعداء لا نعلم ما يتهددنا فيها من المخاطر والمهالك. فقال لهم كلاَّ لانني ساترك مع رئيسكم كتابًا يبعث بهِ الى مستر موفات المرسل الانكليزي وساخبرهُ بهِ انكم حذَّرتموني من سوء العاقبة فلم انقد اليكم بل سرت بكم معتمدًا على العناية الالهيَّة ومهما اصابني فانتم ابرياء ولما قال لهم ذلك ذهبوا في خدمتهِ وكانوا يحملون خيامهُ وامتعتهُ وحيثما امسوا نصبوا الخيام واضرموا حولها النيران تخويفًا للوحوش وبنوا في وسطها زريبة للثيران. وأمر سكيلوتو كل القبائل الخاضعة لهُ التي في طريق لفنستون ان تلاقيهُ بالطعام وتسهل لهُ السفر على قدر الامكان. وكان لفنستون يقوم هو ورجالهُ مع الفجر ويسيرون الهوينا لانهُ كان يحسب طول الاماكن وعرضها ويتفحص نباتاتها وحيواناتها وصخورها وتربتها وبقيَّة احوالها الطبيعيَّة والجغرافية. ولما تجاوز قبائل الماكولولو الخاضعة لسكيلوتو فرغ الزاد من رجالهِ فكانوا يتقوتون بجذور نبات غليظ الجذور تسلق اوراقهُ وتؤكل كالخضر وتجفَّف جذورهُ وتجرش وتطبخ وجريشها هو التبيوكا المعروفة ولما اقتربوا من بلاد

الرئيس شنتي بعث بعضاً من رجالهِ لملاقاتهم والمجيء بهم الى قريتهِ وهي في وادٍ بديع فيهِ كثير من شجر الموز ونحوهِ من الاشجار الاستوائية واستقبلهم برؤساء قبيلتهِ ونسائهِ ومغنيهِ وكان جالسًا على عرش مغطًّى بجلود الفهود ولابسًا قميصاً قصيرًا وتنورة قرمزية خضراء الحواشي ويداهُ ورجلاهُ محلَّاةٌ بالاساور والدمالج وعنقهُ بقلائد الخرز. ولم يكن قد رأى رجلاً ابيض في حياتهِ فترحب بلفنستون غاية الترحُّب. واقام لفنستون عندهُ على الرحب والسعة وكان معهُ فانوس سحري فاراهُ صورهُ فخاف منها نساؤُهُ وهربنَ واما هو فسرَّ بها غاية السرور وجاء الى خيمة لفنستون ورأى مرآتهُ وساعتهُ ومشطهُ فاندهش منها اشد الاندهاش ثم اعطاهُ دليلاً يرشدهُ في بقية الطريق الى ان يصل الى البحر المحيط

اعمل بالواجب عليك

يحكى ان ارملة شكت الى ثيودوريك ملك الرومانيين مطاولة القضاة في دعوًى لها رُفعت الى المحكمة منذ ثلاث سنوات وكان حقها ان تنجز في بضعة ايام. فدعا الملك القضاة واوصاهم ان ينجزوا دعوى الارملة فحكموا لها فيها في يومين. فلما علم الملك بذلك احضرهم اليهِ ثانيةً وقال كيف انجزتم في يومين ما تأَخرتم عن انجازهِ ثلاث سنين. قالوا ان مولانا اوصانا بانجازها ولهُ الامر وعلينا الامتثال. فقال أَما علمتم ايها الخائنون اني لما عيَّنتكم لتقضوا لعباد الله اوصيتكم بان لا تتغاضوا عن واجباتكم ولا تتباطأُوا عن قضاء الحقوق. فلو كنتم تراعون وصيتي لعملتم بالواجب عليكم ولم تتغافلوا عن حق تلك الارملة ثلاث سنوات. ثم امر فضرِبت اعناقهم جميعاً

الرياض السندسية في الاخبار الأندلسية

(تابع ما قبله)

الفصل الثالث

في اتمام فتح الاندلس على يد موسى بن نصير

ولمّا انتصر طارق على رودريك وبدّد شمل جيشهِ في وادي لكة كما سبق كتب الى موسى بن نصير في القيروان يخبرهُ بالفتح والغنائم فحركتهُ الغيرة وكتب الى طارق يخبرهُ ان لا يتجاوز من مكانهِ حتى يصل اليهِ. ولكن طارقًا لم يطعهُ وفتح ما تقدَّم ذكرهُ من مدن الاندلس. واستخلف موسى على القيروان ولدهُ عبد الله ونهض منها سنة ٩٣ للهجرة في عسكر غفير ممَّن وجدهُ من العرب الموالي وعرفاء البربر وسار بهم قاصدًا الأندلس فالتقى في طريقهِ ببني فيتنزا (غيطشة) قادمين اليهِ بكتاب من طارق. وذلك انهُ لما انتصر طارق على رودريك وجيشهِ بسبب اولاد فيتنزا وانهزم هؤُلاء اليهِ وانضمُّوا الى قومهِ بأمان قالوا لهُ أَنت امير نفسك ام فوقك امير فقال بل على رأسي امير وفوق ذلك الامير امير عظيم. فاستأذنوهُ في اللحاق بموسى بن نصير بافريقية ليؤَكدوا نسبهم بهِ وسأَلوهُ الكتاب اليهِ بشأْنهم معهُ وبعهدهِ الذي عاهدهم كما سبق. ففعل وساروا حتى تلقوا موسى بالقرب من بلاد البربر وعرَّفوهُ بشأْنهم. فلما وقف على ما كتبهُ اليهِ طارق في ذمتهم وسابقتهم انفذهم الى الخليفة الوليد بدمشق الشام وكتب اليهِ بما عرَّفهُ بهِ طارق من جميل اثرهم

فاكرمهم الوليد وانفذلهم عهد طارق في ضياع والدهم وعقد لكل واحدٍ منهم سجلاً وجعل لهم ان لا يقوموا لداخلٍ عليهم فقدموا الاندلس وجازوا ضياع والدهم اجمع واقتسموا على موافقةٍ منهم فصار منهم لكبيرهم ألمند الف ضيعة في غرب الأندلس فسكن من اجلها اشبيلية مقتربًا منها . وصار لارطباش (اردبست) وهو تلوهُ في السن الف ضيعة في موسطة الاندلس فسكن من اجلها قرطبة وصار لثالثهم وقلة الف ضبعة في شرقي الاندلس وجهة الثغر فسكن من اجلها مدينة طليطلة

وعلم موسى ان طارقًا لم يُطِعهُ بل اوغل في البلاد واكثر من الفتوح لحسدهُ ونقم عليهِ ولما دخل الاندلس تنكّب الجبل الذي حلهُ طارق ودخل على موضع آخر فنُسب اليهِ وسمّي جبل موسى. ولما احتل الجزيرة الخضراء قيل لهُ أتسلك طريق طارق فأبى وقال ما كنت لاسلك طريق طارق ولا اقتفي اثرهُ . فقال لهُ الادلآء اصحاب يليان نحن ندلك على طريق اشرف من طريقهِ ومدائن اعظم خطرًا واوسع غنمًا من مدائنهِ لم تفتح بعدُ . فملئ سرورًا بعد ما كثرت غمومهُ . وساروا بهِ في جانب ساحل مدينةٍ يقال لها شدونة فافتتحها عنوةً . ثم ساروا الى مدينة قرمونة وكانت من احصن مدن الاندلس وابعدها على من يرومها بحصارٍ او قتالٍ فدخلها بحيلة . وذلك ان الادلآء أتوها متظاهرين بانهم فلالٌ منهزمون ففتحوا لهم الابواب وادخلوهم. ولمّا خيّم الظلام طرقهم موسى بالفرسان فاوقع الادلآء بالحرّاس وفتحوا لهُ الباب فامتلك المدينة . ومضى الى اشبيلية جارتها وكانت مقامًا لرؤساء الدين عظيمة الشأن عجيبة البنيان كثيرة الآثار فحاصرها فامتنعت عليهِ اشهرًا ثم هرب اهلها

النصارى الى مدينة باجة ففتحها وضم اليهود من اعمالها اليها وخلّف بها رجالاً. ومضى الى مدينة ماردة وكانت ذات عزّة ومنعةٍ وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس جليلة القدر فائقة الوصف فحاصرها ايضاً وكان اهلها ذوي بأس عظيم فنالوا من قوم موسى دفعات وآذوهم. ولما رأى موسى انهُ لا يستطيع قهرهم هجوماً عمل دبَّابة (وهي آلة تتخذ في الحصار يدخل فيها الرجال ثم تدفع في اصل الحصن فينقبونهُ وهم في جوفها) فدبَّ المسلمون بها الى برج من ابراج السور وجعلوا ينقبونهُ حتى نبت معاولهم وعدَّتهم وثار بهم اهل ماردة على غفلة وقتلوا قوماً منهم تحت الدبابة. ولذلك سمّى المسلمون الموضع برج الشهداء. ولما طال الحصار وكره الفريقان القتال تصالحا ودخل موسى المدينة سنة ٩٤ من الهجرة

وروى مؤرخو العرب ان موسى أوهم اهل ماردة فصالحوهُ على ان يعطوهُ اموال الكنائس والقتلى والهاربين وذلك لان رسلهم دخلوا عليهِ يوماً فوجدوهُ ابيض الرأس واللحية ثم عاودوهُ قبل الفطر بيوم فاذا هو قد قنى لحيتهُ بالحناء فتعجبوا من ذلك وعاودوهُ يوم الفطر فاذا هو قد سوَّد لحيتهُ فازداد تعجبهم منهُ وكانوا لا يعرفون الخضاب فظنوهُ نبياً يتصور في كل صورة فهابوا قتالهُ واجابوهُ الى ما طلب. ولا يخفى ان الرومانيين لم يكونوا يجهلون الخضاب والقوط خالطوهم ازماناً فيستبعد انهم لم يعرفوهُ منهم. وهبْ انهم لم يعرفوهُ فليس يصدّق انهُ يلبّس عليهم الحقيقة هذا التلبيس الاّ اذا كانوا اغراراً لا يفهمون او اطفالاً لا يفقهون

وانتقض اهل اشبيلية على المسلمين واجتمعوا من مدينتي باجة ولبلة وقتلوا

ثمانين رجلاً منهم فانهزم الباقون الى موسى وهو بماردة . فوجه ابنهُ عبد العزيز في جيش الى اشبيلية ليأخذ بثار المسلمين ففتحها عبد العزيز وقتل من فيها من الثائرين ونهض الى لبلة ففتحها ايضاً واقام في اشبيلية واستقامت لهُ الامور . واما موسى فتوجه الى طليطلة حيث كان طارق برجالهِ كما مرَّ معنا في الفصل الثاني

وبلغ طارقاً خبر قدوم موسى سيدهِ فخرج في وجوه رجالهِ لاستقبالهِ ولما وقعت عينهُ عليهِ نزل عن جوادهِ اعظاماً لهُ فاخذ موسى سوطهُ وضربهُ بهِ ووبخهُ على استبدادهِ عليهِ ومخالفتهِ لرأيهِ اذ لم يطعهُ في ما كتب بهِ اليهِ . ثم سارا جميعاً الى طليطلة فطالبهُ موسى باداء ما عندهُ من ذخائر الملوك ومال الفيء الذي قبضهُ من المدن التي اخذها صلحاً فسلمهُ اياها . ويحكى انهُ لما كان طارق في نواحي طليطلة قصد مدينة تسمَّى مدينة المائدة بعد ما سلك وادي الحجارة وقطع جبلاً وراءهُ . وزعموا انهُ كان في هذهِ المدينة مائدة من عجائب الاندلس صيغت من الاموال الموصى بها للكنائس لتبرز في ايام الاعياد وتأنق الملوك في تحسينها حتى فاقت كل آنية الكنائس في تلك الديار . وذكر ابن حيَّان انها كانت مصوغة من الذهب الخالص مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد وكانت توضع على مذبح مدينة طليطلة . فغنمها طارق وطار النبأ المفخم عنها الى كل المسلمين. ولما طلب موسى منهُ الاموال استعجلهُ بطلب المائدة فخلع طارق رجلاً من ارجلها وخبأها عندهُ فسألهُ موسى عنها فقال لا علم لي بها وهكذا اصبتها . فامر موسى فصُنعت لها رجلٌ من ذهب ولكن جاءت بعيدة الشبه عن ارجلها وظهر عليها التعمُّل فاخل ذلك بكمالها .

ثم ان موسى اصطلح مع طارق واظهر الرضاء عنهُ واقرَّهُ على مقدمتهِ على رسمهِ وامرهُ با التقدُّم امامهُ في اصحابهِ وسار موسى خلفهُ في جيوشهِ فارتقى الى الثغر الاعلى وافتتح سرقسطة واعمالها وأوغل في البلاد وطارق امامهُ وهما لا يمرَّان بموضع الاَّ اخذاهُ وغنما ما فيهِ . ولم يعارضهما احدٌ من اهل البلاد لانهم خافوا بأس المسلمين واستخاروا حكمهم على عسف القوط وجورهم وسهل عليهم التسليم اليهم با لصلح والمعاهدة على ما يصون حرمتهم ويحفظ حقوقهم . وكانت نفس موسى تحدثهُ با لدخول الى جليقية وافتتاحها . قيل وبينما هو يعمل في ذلك ويعدّل لهُ اذ اتاهُ مغيث الرومي مولى الخليفة الوليد بامرٍ من الخليفة بالخروج من الاندلس والاضراب عن الوغول فيها والرجوع اليهِ . فساءهُ ذلك وقطع بهِ عن ارادتهِ لانهُ لم يبقَ عليهِ غير جليقية . فلاطف مغيثًا وسألهُ ان يمهلهُ الى ان ينفذ عزمهُ في الدخول اليها والمسير معهُ في البلاد شريكًا لهُ في الاجر والغنيمة ففعل ومشى معهُ . فلما استبطأ الخليفة رجوع موسى ارسل رسولاً آخر يكنى ابا نصر وكتب الى موسى يوبخهُ ويأمرهُ بالخروج والزم رسولهُ ابا نصر ازعاجهُ . فاذعن موسى لامر الخليفة وانقلع من مدينة لك بجليقية ووافاهُ طارق في الطريق منصرفًا من الثغر الاعلى فارجعهُ معهُ ومضيا جميعًا ومعهما الرسولان مغيث وابو نصر ومن اختار الرجوع من الناس واحتلوا باشبيلية . وبقي كثيرون من العرب والبربر في البلاد لانهم كانوا كلَّما مرُّوا بموضعٍ استحسنوهُ يحطون فيهِ وينزلونهُ قاطنين مستوطنين

ثم ان موسى استخلف ابنهُ عبد العزيز على امارة الاندلس واقرَّهُ بمدينة اشبيلية لاتصالها با لبحر . وسار الى المشرق في ذي الحجَّة سنة ٩٥ هجرية حاملاً

الغنائم والسبي والذخائر والجواهر التي لا تحصى · وهو مع ذلك متلهف على ما فاتهُ آسف على ما لحقهُ من الازعاج لانهُ كان يؤمل ان يجعل مخترقهُ في تلك الارض طريقاً مهيعاً يسلكهُ اهل الاندلس في مسيرهم ومجيئهم من الشرق واليهِ. وان يرجع الى الشرق من ناحية القسطنطينيَّة ويجاوز الشام ويخوض ما بينها من امم الاعاجم والنصرانية الى ان يلحق بدار الخلافة .ولذلك اشتدَّ قلق الخليفة بمكان المسلمين من دار الحرب حاسباً ان ما همَّ بهِ موسى غرر بهم فاسترجعهُ فرجع مكرهاً

وبينما هو راجعٌ على الطريق سأل مغيثاً مولى الوليد ان يسلّم اليهِ امير قرطبة الذي اسرهُ بعد فتح قرطبة كما مرَّ في الفصل الثاني فامتنع عليهِ وقال لا يؤديهِ للخليفة سواي فهجم عليهِ موسى وانتزعهُ منهُ. فقيل لهُ ان سرتَ بهِ حياً ادَّعاهُ مغيث ولم ينكر الاسير قولهُ ولكن اضرب عنقهُ ففعل فضغن عليهِ مغيث وصار إلبهُ مع طارق الحاقد على موسى. ثم ان موسى استخلف على طنجة وما يليها من الغرب الاقصى ابنهُ الآخر عبد الملك فصار اولادهُ الثلثة حكاماً على افريقية والغرب الاقصى والاندلس وسار بعد ذلك الى الشام · واختلف مؤرخو العرب هل كان ورودهُ قبل موت الوليد او بعدهُ. فمن يقول بعدهُ قال قدم على سليمان اخي الوليد حين استخلف وكان منحرفاً عليهِ لان طارقاً ومغيثاً سبقا اليهِ واشتكيا من موسى ورمياهُ بالخيانة واخبراهُ بما صنع بهما من خبر المائدة وصاحب قرطبة وقالا لهُ انهُ غلَّ جوهراً عظيم القدر واستحلَّ سرقتهُ . فلما دخل على سليمان وجدهُ ضاغناً عليهِ فاغلظ لهُ الكلام واستقبلهُ بالتأنيب والتوبيخ فاعتذر لهُ موسى ببعض العذر. ثم سألهُ عن المائدة فاحضرها فقال لهُ

زعم طارق انهُ هو الذي اصابها دونك. قال لا وما رآها قط الاَّ عندي. فقال طارق فليسأَلهُ امير المؤمنين عن الرجْل التي تنقصها فسأَلهُ فقال هكذا اصبتها وعوَّضتها رجْلاً صنعتها لها. فحوَّل طارق يدهُ الى قبائهِ فأَخرج الرجْل. فعلم سليمان صدقهُ وكذب موسى. فحقق جميع ما رماهُ بهِ وعزلهُ عن جميع اعمالهِ واقصاهُ وحبسهُ

ومَن يقول ان ورودهُ كان قبل موت الوليد — وعندنا انهُ الارجح — قال ان موسى قدم على الوليد وهو مريض فلما سمع سليمان وليُّ العهد بقرب موسى من دمشق كتب اليهِ يامرهُ بالتربُّص رجاء ان يموت الوليد قبل قدومهِ فيقدم على سليمان في اول خلافتهِ بالغنائم الكثيرة التي معهُ فيعظم بذلك مقام سليمان عند الناس فابى موسى ان يفعل ذلك ومنعهُ دينهُ منهُ وجدَّ في السير حتى قدم والوليد حيٌّ فسلَّم لهُ الاخماس والغنائم والتحف والذخائر. وتوفي الوليد بعد قدوم موسى بيسير واستخلف سليمان فحقد عليهِ واهانهُ وأَمر باقامتهِ في الشمس حتى كاد يهلك. وأَمر بتقصّي حسابهِ فاغرمهُ غرمًا عظيمًا زعموا انهُ كشفهُ فيهِ. فالقى موسى بنفسهِ على يزيد بن المهلَّب لمكانهِ من الخليفة سليمان وطلب منهُ ان يكلمهُ في التخفيف عنهُ فدار بينهما هذا الحديث: قال لهُ يزيد أُريد ان اسأَلك فاصغِ اليَّ قال سَلْ عما بدا لك. فقال لهُ لم أَزل اسمع عنك انك من أَعقل الناس وأَعرفهم بمكايد الحروب ومداراة الدنيا فقل كيف حصلتَ في يد هذا الرجل بعد ما ملكتَ الاندلس والقيتَ بينك وبين هؤُلاء القوم البحر الزخَّار وتيقَّنت بعد المرام واستصعابهُ واستخلصتَ بلادًا انتَ اخترعتها واستملكتَ رجالاً لا يعرفون غير خيرك وشرّك وحصل

في يديك من الذخائر والاموال والمعاقل والرجال ما لو اظهرتَ بهِ الامتناع لم تلوِ عنقك في يد مَن لا يرحمك . ثم انك علمت ان سليمان وليُّ عهد وانهُ المولى بعد اخيهِ وان اخاهُ اشرف على الموت لا محالة وبعد ذلك خالفت سليمان والقيت بيدك الى التهلكة واحتقرت مالكك ومملوكك (يعني سليمان وطارقًا) . وما رضاهُ سليمان عنك الاَّ بعيد ولكن لا آلو جهدًا . فقال موسى يا ابن الكرام ليس هذا وقت تعديد . أما سمعت اذا جاءَ الحَيْن غطَّى على العين . فقال ما قصدتُ بما قلتُ لك تعديدًا ولا تبكيتًا وانما قصدتُ تلقيح العقل وتنبيه الرأي وان أرى ما عندك . فقال موسى اما رأيتَ الهدهد يرى الماءَ تحت الارض عن بُعدٍ ويقع في الفخ وهو بمرأى عينهِ

ثم ان يزيد كلَّم فيهِ الخليفة سليمان فكان من جوابهِ انهُ قد اشتمل رأسهُ بما تمكَّن لهُ من الظهور وانقياد الجمهور والتحكم في الاموال والأبشار على ما لا يمحوهُ الاَّ السيف ولكن قد وهبت لك دمهُ وانا بعد ذلك غير رافع عنهُ العذاب حتى يردَّ ما غلَّ وسرق من مال الله وقبل ان سليمان حملهُ غُرم مئتي الفٍ ذهبًا فاضطرَّ الى ان سأل العرب معونتهُ فحملوا عنهُ جانبًا عظيمًا من الغرم حتى أدى مئة الف وعجز عن تأدية الباقي . وآلت حالهُ الى أن كان يطاف بهِ ليسأل من احياءِ العرب ما يفكُّ بهِ نفسهُ فلقي من الذل والخمول والفقر ما عجل بهِ الى القبر

قال احد غلمانهِ الذين وفوا لهُ في فقرهِ وخمولهِ "لقد رأيتنا نطوف مع الامير موسى بن نصير على احياءِ العرب فواحد يجيبنا وآخر يحتجب عنَّا ولربما دفع الينا على جهة الرحمة الدرهم والدرهمين . فيفرح الامير بذلك ليدفعهُ الى الموكلين

بهِ فيخففون عنهُ العذاب . ولقد رايتنا ايام الفتوح العظام بالاندلس ناخذ السلوب من قصور النصارى فنفصل منها ما يكون من الذهب وغير ذلك ونرمي بهِ ولا نأخذ الاَّ الدرّ الفاخر فسبحان مَن بيدهِ العز والذل والغنى والفقر". وامتدّت هذه الحال مع موسى ثلث سنين حتى فارقهُ كل غلمانهِ ومواليهِ وامسى في اسوإ حال ولم يبقَ معهُ الاَّ مولًى واحدٌ وفى لهُ وصبر عليهِ الى ان ضاق ذرعهُ ولم يعد يستطيع صبرًا على البقاء معهُ فاراد ان يسلمهُ وهو يطوف مستعطيًا بوادي القرى في الحجاز . وشعر موسى بذلك فخضع لهُ وقال لهُ يا فلان اتسلمني في هذه الحالة . فقال لهُ غلامهُ من شدّة ما كان فيهِ من الضجر قد اسلمك خالقك وما لكك الذي هو أرحم الراحمين . فدمعت عيناهُ وجعل يرفعهما الى السماء خاضعًا مُهينًا وما اصبح الصباح الاَّ وقد فارق الحياة وانتقل الى ديار الآخرة سنة ٩٧ من الهجرة وعمرهُ ٧٨ سنة هجرية . وهذا كان نصيبهُ من الدهر في اواخر ايامهِ بعد ما شاد للاسلام اركانًا والقى هيبة الدولة العربية في قلوب الاقارب والاباعد

ولم تقتصر نقمة سليمان على نكبة موسى بذلك بل انهُ دسّ الى اهل الاندلس بقتل ابنهِ عبد العزيز الذي استخلفهُ على الاندلس كما ذكرنا . وحقق عبد العزيز آمال ابيهِ فيهِ فضبط سلطان الاندلس وضمّ نشزها وسدّ ثغورها وافتتح في ولايتهِ مدائن كثيرة ممَّا كان قد بقي على ابيهِ موسى . وقيل ان الجنود نقموا عليهِ لاشياء زعموا منها تزوجهُ بزوجة رودريك المكنَّاة ام عاصم . وكانت قد صالحت على نفسها واموالها وقت الفتح وأدَّت الجزية فتزوجها عبد العزيز فحظيت عندهُ . وقالت لهُ يومًا لماذا لا يسجد لك اهل مملكتك كما كان يسجد

لرودريك اهل مملكتهِ فقال لها ان هذا حرام عندنا فلم تقنع منهُ بذلك . وفهم لكثرهِ شغفهِ بها ان عدم ذلك مما يزري بقدرهِ عندها فاتخذ بابًا صغيرًا قبالة مجلسهِ يدخل عليهِ الناس منهُ فينحنون وافهمها ان ذلك الفعل منهم تحيَّة لهُ فرضيت. فلما سمع الجند بذلك جعلوهُ ذريعتهم الى انفاذ دسيسة سليمان اليهم فوثبوا عليهِ وقتلوهُ عقب سنة خمس وتسعين للهجرة وبعثوا براسهِ من الاندلس الى سليمان فطرحهُ من امامهِ وجرَّع اباهُ موسى كأْس الحسرات عليهِ قبل موتهِ كما اذلَّهُ واحرقَ فؤَادهُ بعزل ابنهِ عبد الله عن افريقية

الفصل الرابع

في ولاة العرب على الاندلس

ولما قُتِل عبد العزيز بن موسى تولَّى بعدهُ ابن عمتهِ ايوب بن حبيب اللخمي وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك قد اقام محمد بن يزيد عاملًا على افريقية عوضًا عن عبد الله بن موسى بن نصير . فلما بلغ يزيد قتل عبد العزيز بعث الى الاندلس الحرَّ بن عبد الرحمان بن عثمان الثقفي فقدم الاندلس وعزل ايوب بن حبيب بعد ما وُلي خمسة اشهر ووُلي مكانهُ وبقي سنتين وثمانية اشهر واليًا. ثم بعث عمر بن عبد العزيز على الاندلس السمح بن مالك الخولاني على راس المئة من الهجرة وامرهُ ان يخمس ارض الاندلس فخمسها وبنى قنطرة قرطبة على نهرها وهي من اعظم آثار الاندلس واعجبها حناياها سبع عشرة حنيَّة وقيل ثماني عشرة وطولها على ما ورد في مناهج الفكر ثمانمئة ذراع وعرضها عشرون باعًا وارتفاعها ستون ذراعًا وعدد ابراجها تسعة عشر برجًا . وقيل انهُ كان في مكانها قنطرة من بناء الاعاجم قبل دخول العرب بنحو مئتي سنة أثَّرت فيها الازمان بمكابدة

المدد حتى سقطت حناياها ومحيت اعاليها وبقيت ارجلها واسافلها . وعليها بنى السمح سنة احدى ومئة للهجرة وشيّدها بنو اميّة وحسنوها بعد ذلك حتى صارت من الاربع التي فاقت قرطبة بها سائر الامصار . قال بعض شعراء الاندلس

باربعٍ فاقت الامصارَ قرطبةٌ منهنَّ قنطرةُ الوادي وجامعها
هاتانِ ثنتانِ والزهراء ثالثةٌ والعلمُ اعظمُ شيء وهو رابعها

وخرج السمح غازيًا في ارض الفرنجة فقتل هناك سنة ١٠٢ للهجرة . فقدّم اهل الاندلس عليهم عبد الرحمان بن عبد الله الغافقي الى ان قدم عنبسة بن سحيم من قِبَل عامل افريقية وذلك سنة ١٠٣ فاستقام امر الاندلس وغزا الافرنج وتوغّل في بلادهم وقُتِل سنة ١٠٧ الاربع سنين واربعة اشهر من ولايتهِ

ثم تتابعت ولاة الاندلس من قبل امراء افريقية فلما قتل عنبسة المذكور آنفًا ارسل اهل الاندلس الى عامل افريقية بشر بن صفوان الكلبي يطلبون منهُ واليًا على بلادهم فانفذ اليهم يحيى بن سلمة الكلبي فقدم في آخر سنة ١٠٨ واقام في الولاية سنتين وستة اشهر ولم يغزُ . ثم قدم الى الاندلس عثمان بن ابي نسعة اللخمي واليًا وعُزل بعد خمسة اشهر وتلاهُ حذيفة بن الاحوص القيسي سنة ١١٠ وعُزِل بعد مئة من ولايتهِ

ثم وُلّي بعدهُ الهيثم بن عبيد الكلابي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن ايضًا فقدم في المحرم سنة ١١١ وغزا ارض مقوشة فافتتحها وتوفي سنة ١١٣ لسنتين من ولايتهِ . وقدم بعدهُ محمد بن عبد الله الاشجعي فولي شهرين . ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي من قبل عبيد الله بن الحجاب صاحب افريقية فدخلها سنة ١١٣ وغزا الافرنج . وكانت لهُ فيهم وقائع وأُصيب عسكرهُ في

رمضان سنة ١١٤ في موضع يُعرف ببلاط الشهداء وبهِ عُرِفت الغزوة وكانت ولايتهُ سنة وثمانية اشهر. ثم وُلّي عبد الملك بن قطن الفهري وقدم في رمضان سنة ١١٤ فوُلّي سنتين وقيل اربع سنين وكان ظلومًا جائرًا في حكومتهِ وغزا ارض البشكنش (البسكة) سنة ١١٥ فاوقع بهم وغنم ثم عُزِل في رمضان سنة ١١٦ ووُلّي عقبة بن الحجاج السلولي فاقام خمس سنين محمود السيرة مجاهدًا مظفرًا حتى بلغ سكنى المسلمين اربونة وصار رباطهم على نهر ردونة. ثم وثب عليهِ عبد الملك بن قطن الفهري سنة ١٢١ فخلعهُ وقتلهُ. ويقال اخرجهُ من الاندلس ووُلّي مكانهُ الى ان دخل بلج بن بشر باهل الشام سنة ١٦٤ فغلب عليهِ ووُلّي الاندلس سنة او نحوها وتحزّب عليهِ الفهريون فقام بامرهم قطن وامية ابنا عبد الملك فكانت الدائرة عليهم وهلك بلج من الجراح التي اصابتهُ في حربهم

ثم وُلّي ثعلبة بن سلامة الجذامي فانحاز عنهُ الفهريون ولم يطيعوهُ ووُلّي سنتين اظهر فيهما العدل ودانت لهُ الاندلس عشرة اشهر الى ان مالت بهِ العصبية في يمانيتهِ ففسد امرهُ وهاجت الفتنة. وقدم ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبي من قبل حنظلة بن صفوان عامل افريقية ركب اليها البحر من تونس سنة ١٢٥ فدان لهُ اهل الاندلس واقبل اليهِ ثعلبة وابن ابي نسعة وابنا عبد الملك فلقيهم واحسن اليهم واستقام امرهُ وكان شجاعًا كريمًا ذا رأيٍ وحزم. وكثر اهل الشام عندهُ ولم تحملهم قرطبة ففرّقهم في البلاد وانزل اهل دمشق إلبيرة لشبهها بها وسماها دمشق وانزل اهل حمص اشبيلية وسماها حمص واهل قنسرين جيّان وسمّاها قنسرين واهل الاردن ريّة ومالقة وسماها الاردن

واهل فلسطين شذونة وهي شريش وسماها فلسطين واهل مصر تدمير وسماها مصر

وكان ابو الخطار اعرابياً عصبياً افرط عند ولايتهِ في التعصب لقومهِ من اليمانية وتحامل على المضرية واسخط قيساً. وامر في بعض الايام بالصميل بن حاتم كبير القيسية وكان من طوالع البلج فاقيم من مجلسهِ وضُرِب قفاهُ فمضى وانضم الى المتحازين عن ابي الخطار مع القيسية وعزلوهُ سنة ١٢٨ لاربع سنين وتسعة اشهر من ملكهِ. وقدّم مكانهُ ثوابة بن سلامة وهاجت الحرب وخاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية فكتب الى ثوابة بعهدهِ على الاندلس سنة ١٢٩ فضبط الاندلس وقام بامرهِ الصميل واجتمع عليهِ الفريقان وهلك لسنة من ولايتهِ

ووقع الخلاف بافريقية والتاث امر بني أُمية بالمشرق وشُغلوا عن قاصية الثغور بكثرة الخوارج وعظم اهل المسوّدة فبقي اهل الاندلس فَوْضَى ونصبوا للاحكام خاصّة عبد الرحمن بن كثير ثم اتفق جند الاندلس على اقتسام الامارة بين المضرية واليمانية وادالتها بين الجندين سنةً لكل دولة. وقدّم المضرية على انفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة ١٢٩ واستتمّ سنة ولايتهِ بقرطبة دار الامارة ثم وافتهُ اليمانية لميعاد ادالتهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيهم واتفاقهم فبيّتهم يوسف بمكان نزولهم من شقندة في قرى قرطبة بمالأة من الصميل بن حاتم والقيسية وسائر المضرية فاستلحموهم وثار ابو الخطار فقاتلهُ الصميل وهزمهُ وقتلهُ سنة ١٢٩ واستبد يوسف بما وراء البحر من عدوة الاندلس وغلب اليمانية على امرهم وولّى الصميل سرقسطة

فلما ظهر امر المسوّدة بالمشرق ثار الحباب الزهري بالاندلس وحاصر الصميل بسرقسطة واستمد يوسف فلم يمدّهُ وامدّتهُ القيسية فافرج عنهُ الحباب وفارق الصميل سرقسطة فملكها الحباب وولّى يوسف الصميل على طليطلة الى ان كان من عبد الرحمن الداخل ما سيذكر في موضعهِ . فالذين ذُكروا من الولاة تملكوا الاندلس بدون موارثة من يوم فتحها وهو يوم الاحد في ٥ شوال سنة ٩٢ هجرية الى يوم الهزيمة على يوسف بن عبد الرحمن الفهري وتغلُّب عبد الرحمن بن معاوية المرواني على سرير الملك في قرطبة وهو يوم الاضحى في ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٨ هجرية . فهذه المدّة تكون ٤٦ سنة و ٥ ايام. انتهى عن ابن خلدون بتصرُّف واختصار

النباهة

قيل كان احمد بن المدبر الكاتب المشهور اذا مدحهُ شاعر ولم يعجبهُ شعرهُ قال لغلامهِ امضِ بهِ الى الجامع ولا تفارقهُ حتى يصلي مائتي ركعةٍ ثم يطلقهُ فتحاماهُ الشعراء فجاءهُ الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمل فاستأذنهُ بالمدح فقال لهُ قد عرفت الشرط قال نعم وانشد

اردنا في ابي حسنٍ مديحًا كما بالمدح تنتجع الولاةُ
وقلنا اكرم الثقلين طرًّا ومن كفيهِ دجلة والفراتُ
فقالوا يقبل المدحات لكن جوائزهُ عليهنَّ الصلوةُ
فقلت لهم وما تغني صلوةٌ عيالي انما الشأن الزكوةُ
فأمر لي بكسر الصاد منها فتصبح والصلوة هي الصِلاتُ

فضحك ابن المدبر وانعم اليهِ

رواية دار الغرائب والغيَر

(تابع ما قبله)

الفصل السادس عشر

ولما رجعت الملكة صابات من عيادة لمير سوسن بعثت اليهِ والى امير لستر تأمرهما بالحضور الى الديوان في اليوم التالي لتنظر في ازالة اسباب الحقد والضغينة من بينهما . فقال امير لستر لوردان مقدم فرسانهِ أَتدري ان الملكة ارسلت تأمرني بالحضور الى الديوان في الغد وذلك اثر عيادتها لامير سوسن. وانت تقول ان تلك العيادة كانت على غير طائل وانما عادت على امير سوسن بالعار والخزي . قال ولم ازل اقول ذلك يامولاي فقد اخبرني مَن سمع كلام الملكة نفسها ان امير سوسن خسر من هذه العيادة اكثر مما ربح وان الملكة قالت حين انصرفت من عندهِ وركبت الزورق ان دار الامير تشبه ثكنة الجنود في هيئتها ومستشفى المرضى في رائحتها فاجابتها صديقةٌ لك من الشريفات بل هي أشبه بالمطابخ ودكاكين الطباخين . فاضحك كلامها كل من حضر ولم تبقَ سيدة من السيدات الاَّ سخرت بدار الامير سوسن وقالت ان دارهُ كالكوخ بجانب قصورك وان ملقاك يسمو على ملقاهُ سموّ الثريّا على الثرى. فطابت نفس امير لستر وقال اراك قد استوعبت كثيرًا من اخبار هذه العيادة ولكن ما بالك تغضي عما لا يليق بنا الاغضاء عنهُ . أَما علمت ان الملكة رقّت فتًى من اتباع الامير الى منصب الاشراف والكل يقدّرون لهُ العظمة والعزّة فان ارتقاءهُ سريع ولهُ عند الملكة منزلةٌ فقد كانت بالامس تناظرهُ وتحاورهُ

في الشعر ولا يبعد انها ترفعهُ الى المقامات العليا في قليلٍ من الزمان . على اني ما كنت لاترك الجوّ لاميرسوسن واتباعهِ خاليًا يسرحون ويمرحون كما يشاؤون وارجع انا رجعة المخذول المغبون . ويقال لي ان طرسليان في معية امير سوسن ولهُ عندهُ مكانة . وان الامير قد عاد صحيحًا سليمًا كما كان

فقال وردان لم أُغضِ عن ذلك يامولاي ولكنَّ من رام ارتقاء ذرى المجد اخترق معاقلها وعقباتها ومن رام اشتيار الشهد صبر على ابر النحل . نعم ان مرض امير سوسن كان من اعظم الادلَّة على توفقك في امورك ولكن شفاءهُ لم يصيّرهُ اشدّ صولةً ومنعةً مما كان قبل المرض وقد كان يومئذٍ لا يستطيع مجاراتك في الحكمة والسياسة ولامباراتك في الظرف والكَياسة ولم يزل كذلك فلاتيأس فان من رام الصعود الى الاشجار تعلق باطراف الاغصان لابا لازهار.

فقال الامير مقتضبًا قد فهمت مرادك فلا حاجة الى مثل هذا التعليم والانذار. قل للرجال ان يتهيأُوا لمرافقتي غدًا الى بلاط الملكة وانظر ان تكون ملابسهم على ما يرام من الاتقان والهندام حتى يفوقوا رجال امير سوسن ورجال كل احد سواهُ في بلاط الملكة وأَوصِهِم ان يتقلدوا السلاح ولكن بحيث يتوهم الناظر انهم تقلدوهُ اتباعًا للزي والاصطلاح لا اتقاء للقتال والكفاح

فهذا ما كان من امير لستر ومقدَّم رجالهِ واما اميرسوسن فدعا طرسليان وقال لهُ اني سلمت عرض شكواك على وردان لرجلٍ من المقربين الى الملكة واوصيتهُ ان يسلمها اياهُ فلا بدَّ ان تكون قد رأَتهُ واظنك فائزًا في دعواك هذه فالحق بيدك وقد جعلتَ الكرامة والعدالة مستندك وكلتاهما من مناقب ملكتنا صابات جُبلت منها كما جبل غيرها من ماء وطين .

على ان ذلك النوريَّ (يريد بهِ اميرلستر) قد تقرَّب اليها بكلامهِ الملق ولسانهِ الذلق حتى صار لهُ عندها مكانة واعتبار في ايام السلم هذه ولو كانت الحرب على الابواب لكنتُ انا اوَّل رجالها وزينة ظرفائها وابطالها . اما الآن فقد فات زمان لبس الدروع وتقلُّد السيوف وعدد القتال ودالت دولة الفرسان والابطال وراجت سوق الكفوف والشفوف وقامت دولة الحلي والزخارف . وقد قال المثل البس لكل حالة لبوسها . فما دام الزمان زمان تزويق وبراقش فانظر يا بلنت ان يكون رجالنا بالملابس الناصعة والزينة الساطعة والحلى اللامعة ولكني اخاف ان اكون قد وكَّلت بهذه الامور من هو اجهل مني بها وقد قيل اذا رمت فساد الامور فسلمها لغير اربابها

فقال بلنت . اني لست ادري شيئًا من هذه الامور يامولاي ولكن رأيي يوفي الكيل حقَّهُ ويرد لرجال لستر الصاع صاعين وها اقرباءك وانسباءك قادمين بالملابس الباهية ليذهبوا معك الى الديوان ولست اخاف من مباهاة رجال لستر وغيرهم من متأنقي هذا الزمان فان لم يسلّموا اننا اجمل منهم حلةً وابهى زينة وحليةً اكرهناهم على التسليم بالصارم البتَّار ورفعنا عنا العار . فقال الامير بورك فيكَ من مدبّر حازم لو جعلت سياسة الامور بيدكَ لرأيتني منذ غدٍ معلقًا على خشبة او مصفدًا بالحديد والاغلال فاوصِ الرجال ان يلزموا السلامة والسكون ويجتنبوا كل سبب للشقاق والخصام. ولا يمدوا يدًا الاَّ للذود والدفاع . وشدّد الوصية عليهم فانهم شديدو النزق لايصبرون على ضيمٍ فاذا بدا منهم باديةٌ نال خصمنا اميرلستر الفوز علينا

ولاشتغال اميرسوسن بهذه التدابير لم يتمكن طرسليان من محادثتهِ في

امر تقديم العرض الاَّ بعد المحاولة مدَّة فقال لهُ لم يكن مرادي ان يقدَّم العرض للملكة رأسًا بل لامير لستر تظلمًا مما فعلهُ وردان وذلك حسب رأْي اهل الفتاة لانهم قالوا ان التظلُّم لامير لستر واجب قبل رفع الشكوى للملكة لعلهُ يتم لنا بهِ المرام فلا يكون لنا من الخصوم وهذا ما اخبرتك انا بهِ يا مولاي . فقال امير سوسن مغتاظًا فلمَ جئتَ اليَّ اذًا فاني لم ابلغ هذه الذلَّة بعد حتى اصير مستعطفًا لامير لستر . واني استغرب ان اراك انت يا طرسليان تتدانى الى هذه الخطَّة وانت صديقي ورجل حرٌّ كريم من رجالي ولم يخطر لي قط انك تعرض عليَّ امرًا كهذا . فقال طرسليان لو كان مدار القضية عليَّ ما اخترتُ غير ما اخترتَ لي ولكن المسأَلة متعلقة باقرباء الفتاة . فقال الامير متضجرًا ومن هم اقرباء الفتاة وماذا يعلمون . دعنا نجز الامر على ما نستحسن فقد آن لنا ان لا نترك دعوًى ولا قضية الاَّ ونقيمها على لستر واعوانهِ لننكس رايتهم . وماذا يجدي الكلام الآن في هذا الشأْن وقد بلغ العرض الملكة منذ زمان . فتبيَّن لطرسليان حينئذٍ ان امير سوسن لم ينظر الاَّ الى تنكيس امير لستر والتنكيل بهِ باقامة الدعاوي عليهِ واتهامهِ واتّهام رجالهِ بما يؤَيد مكانتهُ ويقوّيهِ عليهِ ولم يراعِ ما اذا كان ذلك ينفع اصحاب الدعوى او يعود عليهم بالوبال . ولم يترك الامير لطرسليان مجالاً للمطاولة في ذلك بل فض المجلس قائلاً كونوا على استعداد فلا بدَّ لي من الحضور في ديوان الملكة قبيل الظهر

وبينما الاميران يستعدان للحضور في ديوان الملكة كانت الملكة تستعد ايضًا لاتقاء ما ربما وقع عند التقائهما لعلمها ان كلاًّ منهما يأْتي برجالهِ وان حاشيتها مقسومة حزبين احدهما مع الامير الواحد والآخر مع الثاني . فلذلك امرت

الحرس الملوكي ان يكونوا بالعدد والسلاح وقوت جنودها بفرقة من الجنود واصدرت امرًا بمنع كلّ امير من الامراء من الاقتراب الى قصرها برجاله اذا كانوا مسلّحين واوعزت الى محافظ البلد سرًّا ان يكون مستعدًّا ليقدم بجنوده عند حدوث اقل حادث يستوجب ذالك ولما ازفت الساعة المعينة اقبل كلّ من الاميرين برجالهِ واعوانهِ لابسين الملابس البهية ومزيّنين بالحلى والزخارف وجاء اميرلستر برًّا ودخل القصر من باب واميرسوسن على النهر ودخل من باب آخر فاجتمعا معًا في عرصة القصر ولما وقعت العين على العين نظر كلٌّ منهما الى الآخر مليًّا دون سلامٍ ولا تحية كأن الواحد ينتظر ان يبتدرهُ الآخر بالسلام ويأنف من الابتداء بهِ بنفسهِ . واتفق ان الاجراس قرعت حين دخولهما عرصة القصر فانفتحت الابواب وصعد الاميران ومن كان عالي الرتبة من اعوانهما وتخلف الباقون في العرصة ينظرون بعضهم الى بعض شزرًا ولا يجسرون ان يخالفوا وصايا ساداتهم فلزموا الهدو والسكينة

وصعد كل امير باعوانهِ وهم يتنكبون بعضهم بعضًا لكي لا يختلطوا معًا ولما اتوا باب القصر الاعلى قيل لهم ان الملكة جالسة في قاعة الاستقبال فتقدم امير سوسن ووراءهُ بلنت وطرسليان ورالي وتقدم امير لستر ووراءهُ وردان. ولما بلغوا باب القاعة تأخر اميرلستر لانهُ كان اوطأ نسبًا من امير سوسن واحدث منهُ عهدًا في الشرف فوقف وانحنى حتى مرَّ اميرسوسن قدامهُ بعد ما انحنى لهُ ايضًا على عاداتهم في التجمل . ولما دخل امير سوسن القاعة همَّ بلنت وطرسليان بالدخول وراءهُ فمنعهما الحاجب بدعوى ان الملكة لم تأذن بدخول احد غير اناس معينين فرجعا ولما رأى رالي ذلك تقهقر فناداهُ الحاجب قائلاً

تنفضل وادخل فدخل

وكان امير لستر قد وقف بعيدًا يراقب ملاقاة الملكة لامير سوسن . فلما دخل رالي قال لوردان اتبعني ولا تبعد عني ثم دخل وهمَّ وردان بالدخول وراءه فمنعهُ الحاجب ولم يغنِ حسن ملابسهِ شيئًا . فالتفت امير لستر الى الحاجب وقال ماذا تفعل يافلان ألا تعلم من انا أوَلا تدري ان هذا صديقي ومقدم اتباعي . فقال الحاجب عفوك ايها الامير فاني مأمورٌ بان لا أُدخلَ غير من يباح لهم الدخول والامر بذلك مشدَّد . فهاج غضب الامير وقال انك ياهذا محابٍ في ما فعلت اهانةً لي بعد ما ادخلت رجلاً من اتباع امير سوسن . فقال الحاجب لم أُدخِل الاَّ رالي وهو من رجال الملكة ولست بمأمورٍ ان امنعهُ من الدخول فقال الامير انك لئيم كنود منكر للجميل ولكن لا تنسَ ان الذي يربط يحل وستعلم انك لا تنجح بهذه السلطة زمانًا طويلاً بعد هذا . ولما توعدهُ بذلك دخل القاعة وقابل الملكة بالتحية والاحترام فردَّت لهُ الملكة التحية وهي لابسة اثمن الملابس محفوفة باعقل رجالها وادراهم بسياسة الممالك . ثم جعلت تنظر تارةً اليهِ وطورًا الى امير سوسن كمن يريد ان يتكلم . وقبلما ابتدأت بالكلام دخل الحاجب وبيدهِ قضيب اسود هو للحجابة بمثابة الصولجان للمُلك . وسجد بين يديها

فقالت سَلْ عمَّا بدا لك فانك دخلت الى الحضرة دخولاً غير معتادٍ . فقال وكل من حولهُ يرتجف من جرأتهِ هذه — اتيت يامولاتي لاسأل هل اطيع في قضاء وظيفتي امر جلالتكِ او امر امير لستر فانهُ تسخط عليَّ وتوعدني بالكلام لاني منعت بعض اتباعهِ من الدخول الى هذه القاعة امتثالاً لامر

جلالتكِ . فلما سمعت الملكة كلام حاجبها ثار السخط في صدرها وانقدت عيناها غيظاً والتفتت الى امير لستر وقد كاد الحنق يخرجها عن دائرة الصواب وقالت ما هذا الذي نسمعهُ عنك ايها الامير. أتزعم اننا رفعنا مكانتك وقرَّبناك منا لتتعدَّى اوامرنا وتتوعد مأمورينا وتحجب شمس العدالة والرحمة عن رعيتنا. فاعلم انهُ يسود في هذا البلاط سيدةٌ لا غيرها وايَّاك ان تعامل حاجبنا بمكروهٍ لانهُ عمل الواجب عليهِ باتمام اوامرنا والاَّ فاننا نطالبك باقل امرٍ يحدث لهُ ونستوفي منك الضعف اضعافاً . اذهب ايها الحاجب فقد فعلت فعل الاحرار الصادقين . ثم ناولتهُ يدها علامة رضاها فقبلها وعاد الى مقامهِ وهو غير مصدّق انهُ ينال ذلك جزاء جرأتهِ

اما امير لستر فلم يفه بكلمةٍ وظهرت عليهِ علامات الذل والانكسار وكُسِفت وجوه كل من كان من حزبهِ وابتسم خصومهُ واضدادهُ . ولكنهُ ما اظهر الذل والانكسار الاَّ مكرًا منهُ ودهاء لانهُ كان ادرى من سواهُ باخلاق الملكة ورغبتها في الاستعزاز على غيرها لا في تحقيرهِ وتذليلهِ فلما صمت ونالت بكلامها ما تمنَّت وزال منها الغيظ سكنت فيها اميال السلطة والسؤدد وهاجت عواطف الحنوّ والرقة فالمها انكسار حبيبها واحزنها ذلّهُ ولحظت على وجه امير سوسن ووجوه حزبهِ علامات البشر والسرور فارادت اذلالهم جريًا على سياستها وحفظاً لرئاستها . فالتفتت اليهم وقالت والذي اقولهُ لامير لستر اقولهُ لك انت ايضاً يا امير سوسن فكفاك عبثاً انت وحزبك في مملكتنا . فقال لم ادرِ يا مولاتي ان اتباعي عاثوا في غير بلاد اعدائكِ حين اكرهوهم على طاعتكِ واذلوهم لجلالتكِ بعد امتناعهم عليك ولست ادري —

فقالت أتريد ان تنازعنا ايضًا بالكلام وتجاوبنا على كل ما نقول أما كان الاحرى بك ان تتعلم من اميرلستر الاتضاع والسكوت عند لومنا لك. فاعلم ان ابي وجدّي منعا بحكمتهما امراء هذه البلاد المتمدنة ان يجولوا بالاعوان والرجال أفتزعم ان ذلك صار الآن مباحًا لاني امرأةٌ وان الصولجان صار في يدي قصبةً مرضوضة - فما دام بي رمق فاني لافعل ما لا يفعلهُ رجل من استئصال جرائم العسف والجور من مملكتي ونزع القلاقل وابطال الفتن وتأييد الامن وتعميم الراحة والسلام في امّتي ومعاقبة كل من يتطاول الى اقلاق رعيتي وتكدير كاس صفائها . فانا آمركما انتما ايها الاميران ان تتصالحا وتكونا منذ الآن صديقين متوادين والاَّ فاقسم بهذا التاج الذي ورثتهُ عن آبائي انكما تجدان مني عدوًّا لا قِبَل لكما بهِ وخصمًا لم تتصوراهُ في يقظةٍ ولا في منام

فقال امير لستر ان جلالتكِ يامليكتنا مصدر الكرامة ومورد اهل الحقوق فانا مسلم امري بين يدي جلالتكِ وانما اقول اني ما باديتُ امير سوسن بشرٍ وما عاديتهُ حتى رأيت من ظلمهِ لي وتعديهِ عليَّ ما اضطرني الى معاداتهِ. فقال امير سوسن وانا راضٍ بحكم جلالتكِ ولكني اود ان اسمع من فم امير لستر ما الامر الذي ظلمتهُ وتعديت عليهِ فيهِ . فان لساني لم يفه بكلمةٍ الاَّ وانا مستعدٌ لاثباتها بسيفي إما واقفًا على رجليَّ او ممتطيًا متن جوادي . فقال امير لستر اني باذن مولاتي ورضاها أثبت كلامي بسيفٍ لا ينبو بضربٍ ولا ينثلم بنصلٍ

فقالت الملكة انتما في مقام لا يقال فيهِ مثل هذا الكلام فان كنتما لا تمسكان عن هذا الوعيد ولا تلزمان غير هذه الحدود فعندنا من الوسائط ما يكرهكما

على ذلك . والآن مدّا الايدي وتصالحا وتصافحا وليِنسَ كلٌّ منكما احقادهُ وكونا اخوين ولمملكتنا ركنين فوقفا ينظران احدهما الى الآخر وكلٌّ ينتظر من ندّهِ ان يسبقهُ الى اتمام امر الملكة فلما رأت توقفهما قالت يا امير سوسن اني اطلب اليك ويا امير لستر اني آمرك ان تتصالحا ولكنها قالت ذلك بصوتٍ يدل على ان الامر للاوَّل والطلب من الثاني فبقيا ساكنين لا يبديان حراكًا حتى رفعت الملكة صوتها وصاحت متضجرة وامرت بعض رجالها ان يأتي بالحرَس والجنود ثم قالت هذه آخر مرة آمركما فيها بالمصالحة فان اطعتما والاَّ فما يكون قيامكما من هنا الاَّ الى السجن الذي لا مخرج منهُ لتعلما كيف يكون عقاب من يعصى ملكتهُ وليعلم الشعب كلهُ ان صابات لا تهاب رجلاً . اني قلت ذلك فلا تعاندا من اذا قال فعل

فقال امير لستر ما خوفي من السجن فضنكُ السجن محتمل يطاق ولكن الابتعاد عن حضرتكِ ابتعاد عن السعادة والحياة فلايحتمل ولا يطاق. فهذه يدي امدُّها لمصالحة امير سوسن وقال امير سوسن وهذه يدي ايضًا امدُّها عن صدقٍ واخلاصٍ ولكن — فقاطعتهُ الملكة قائلةً حسبك ما قلت فلا تزد. ثم نظرت اليهما وهما متصافحان وقالت هذا ما وددتُ ان يكون فانهُ متى اتحد رعاة شعبي بقلبٍ واحد على الصالح الواحد استقامت احوال الرعية وصدحت بلابل الامن والسعادة في انحاء المملكة واما اختصامكما وانقسام احدكما على الآخر وتحزُّب الناس لكما فيذهب بالامن والراحة ويكثر اسباب الظلم والاعتداء — وهذا يذكّرني بامرٍ عرض لي — أتعرف يا امير لستر رجلًا يدعى وردان من خدمك . فقال الامير نعم يا مولاتي وهو الذي تشرف بالمثول لدى جلالتكِ

في محل كذا . قالت أهذا هو فقد كان ظاهرهُ يدل على عكس ما سمعت عنهُ من انهُ اختلب فؤاد فتاةٍ ابنة اناسٍ اكارم وسباها بحسن وجههِ وجمال ملبسهِ فصيرها عشيقةً لهُ . ولا تستغرب ايها الامير ما اقولهُ لك عنهُ فانهُ قد خدع ابنة رجل شريف من ذوي الحسب والنسب في مملكتنا اعني بهِ السر رسبار وفرَّ بها من بيت ابيها ليورثها العار والندامة ويورث اباها الاسى والغم — ما لكَ ايها الامير قد تغيرت الوانك وعلت صفرة الموت وجهك. ثم اسرعت نحوهُ ولم تستطع اخفاء ما استولى عليها من القلق والاضطراب لما رأت حبيبها في تلك الحال وهل يخفى قلق المحب عند اشتداد الخطوب على المحبوب — ونادت باعلى صوتها اين الاطباء — اين الخدام أنَّا كدنا نفقد زهرة مملكتنا وفخر رجالنا — ما لك ايها الامير أهذا تأثير غيظي عليك فيك فطب قلبًا وقرَّ عينًا فاني لا اسخط عليك لاجل تعدّي بعض اتباعك وانا عالمة بسموّ مطالبك وعلوّ مقاصدك فلا تحسب لهفوات اتباعك حسابًا. ألا ترى ان من يبغي صيد الشواهين في اعالي الشواهق لا يبالي بمن يصيد الزرازير عند اسافلها

فالتفت امير سوسن الى رالي الجالس وراءهُ وقال أرأيت في زمانك توفيقًا احسن من توفيق هذا الانسان فانَّ ما يُعدُّ على غيرهِ ذنوبًا ومساوئ تهبط بهم الى دركات الحضيض يُعد لهُ محاسن ترفعهُ الى اعالي الاوج فكأنَّ السعد والدهر اتفقا على خدمتهِ ومساعدتهِ وانتشالهِ من وهدة سقطاتهِ وغفلاتهِ . فقال رالي صبرًا ايها الامير صبرًا فدوام الحال من المحال واني أرى مجاري الامور قد انقلبت منذ الآن . ولم يقل رالي هذا القول الاَّ لانهُ لحظ ببصيرتهِ

الثاقبة اضطراب امير لستر وتغيُّر احوالهِ وعلم ان السبب في ذلك امرٌ جَلَل وخطبٌ يخشى الامير منهُ دنوَّ الاجل

وبعد ما لبثت الملكة برهةً تنظر اليهِ وعواطف الحب تفيض من عينيها والرقة والحنوّ يطفحان على وجهها تعجبت لما لم تسمع منهُ جوابًا ولعبت الهواجس في صدرها فالتفتت الى مَن حولها فرأتهم جميعًا حيارى يتطلعون ولا يدرون سبب سكوت الامير فقوّى ذلك الرّيب والظنون في نفسها فقالت — وهل في هذا الامر دخيلة لا نراها وسرٌ يحب الامير كتمانهُ . اين وردان هذا ومن رآهُ . فاجاب الحاجب قائلاً هو عين الرجل الذي منعتهُ من الدخول فعنفني امير لستر . فقالت وما بالك تمنع الناس من الدخول علينا دون ان تبلغنا حاجاتهم فان الرجل أتى في تبرير نفسهِ من دعوى أُقيمت عليهِ فمنعتهُ . واراك قد صرت تعد نفسك رجلاً عظيمًا لاني عنفت اميرًا شريفًا من اجلك فما انت الاّ قفل الباب او زلاج الرتاج . أَدخِل وردان حالاً وادخل رجلاً اسمهُ طرسليان فانهُ مذكور في العرض المقدَّم الينا

فخرج الحاجب كاسفًا وللحال ادخل وردان وطرسليان فلما دخل وردان نظر اولاً الى امير لستر ثم الى الملكة فرأى مولاهُ مطرقًا مخفض الطرف فلم يهتدِ الى الوجه الموافق من الكلام ثم رفعت عينهُ على طرسليان فعرف انهُ في موقف محفوف بالمكاره كثير الاخطار لكنهُ كان بالطبع جريئًا ثابت الجنان سريع الخاطر شديد المكر والدهاء يخوض المخاطر وينجو سالمًا بدقة حيلهِ وحسن تدبيرهِ فلم يرعهُ ذلك الموقف وجعل يفكّر ليرى من اين تؤكل الكتف فقالت لهُ الملكة أصحيح يا هذا انك راودت فتاة كريمة الحسب

والنسب عن نفسها واختطفتها من بيت ابيها فجعلتها هزءًا عند الهازئين ومضغةً في افواه العائبين . فسجد امامها متظاهرًا بشديد الندامة والذلة والانسحاق وقال قد كان بينها وبين عبدكِ مراسلات حبيّة ومواصلات وديّة . فلما سمع امير لستر كلامهُ اظلمت الدنيا في عينيهِ وطار فؤادهُ شعاعًا من غلاظة قولهِ وهمَّ ان يقتحم الحضرة ويصرِّح باقترانهِ بالاميرة مي اقترانًا شرعيًّا محلَّلاً ويطّرح مطامع السؤدد والعظمة ويكف عن مداراة الملكة والمداجاة بحبتها ويتنحَّى عن بلاطها ويتخلص من متاعب الرئاسة والعظمة . ولكن عاد فتصوَّر امير سوسن يتهلَّل منصورًا ويشمت بهِ مع رجالهِ ظافرًا ويضحك منهُ عند اقرارهِ على نفسهِ بالخداع والنفاق فاصرَّ على الكتمان وقال لا اشمتهُ بي وفيَّ من الحياة رمق فكظم غيظهُ وقمع شهوتهُ وجعل يصغي الى كل كلمة تخرج من فم وردان

فقالت الملكة لوردان وكيف جاز لك ان تكاتب الفتاة مكاتبةً حبيَّة ولماذا لم تطلبها من ابيها كما هو مقتضى الشيمة والشرف فاجاب وردان وهو لا يزال ساجدًا على ركبتيهِ لم افعل ذلك مخافةَ ان أُرَدَّ لاني كنت اعلم ان اباها وعدَ بها رجلاً كريمًا حرًّا — اقول ذلك قول المنصف وان كان حاقدًا لغير ذنبٍ ولا جريرة — واسمهُ طرسليان وهو واقف في الحضرة الآن . فقالت الملكة وهذا عذر اقبح من ذنب فان كنت تعلم ذلك فلماذا خدعت الفتاة حتى اخلفتْ وعد ابيها برسائلك الغرَّارة التي تدَّعي انها حبيَّة قال ان التعيس من يعتذر عن ضعف في الفطرة البشرية امام من لا يعرف ذلك الضعف ولا يشعر بهِ واتعس منهُ من يعتذر عن ذنوب العاشقين امام

مَن لم يزلْ لحب فؤادها — ثم صمت برهة وقال بصوتٍ منخفض مرتجف —
ولكنَّ غيرها قد ذل فؤادهُ لحبها (ستأتي البقية)

محاضرة شاعرين

كان ابو جعفر بن سعيد العنسي الاندلسي من اشعر اهل بلدهِ وارقهم نظمًا فجلس يومًا للشرب في منزل مطلٍ على جزيرةٍ يقال لها جزيرة سنتبوس في نهرٍ ببلاد الاندلس وكان لهُ صديق يسمَّى احمد بن سيد من مشهوري شعراء الاندلس فبعث اليهِ ابو جعفر برقعة يدعوهُ اليهِ ويقول فيها: وبعد هذا فلتعتمد على ان تصل اليَّ او أَصل اليك فهذا يوم كما قال السبتي

يومٌ لهُ فضلٌ على الأيامِ ... مزجَ السحابُ ضياءهُ بظلامِ
فالبرق يخفقُ مثلَ قلبٍ هائمٍ ... والغيمُ يبكي مثلَ جفنٍ هامِ
فاخترْ لنفسك اربعًا هنَّ المنى ... وبهنَّ تصفو لذَّةُ الأيامِ
وجهَ الحبيبِ ومنزلاً مستشرفًا ... ومغنيًا غردًا وكاسَ مدامِ

وقد حضرت عند محبك الثلاثة فكن رابعها ونادت بك همم الاماني فكن بفضلك سامعها. فعندما قرأ ابن سيد الرقعة ركب اليهِ زورقًا فاقبلا على الارتياح وحث اكؤس الراح الى ان قاربت الشمس الغروب ومدَّ لها في النهر معصم مخضوب . فدارت بينهما هذه المحاضرة في وصف النهر والافق والشمس والكواكب الزاهرة: قال ابو جعفر

انظر الى الشمس قد — أَلصقت على الارض خدًّا
فقال ابن سيد هي المرآةُ لكن من بعدها الافقُ يصدا

ابو جعفر مدّت طرازًا على النهـــرِ عند ما لاحَ بُردا
ابن سيد اهدت لطرفك منهُ مـــا للاكارمِ يهدى
ابو جعفر درعُ اللجينِ عليهِ سيفٌ من التبر مُدّا
ابن سيد فاشرب عليـــهِ هنيًا وزِدْ سرورًا وسعدا

ثم لما اظلم الليل نظرا الى النجوم وقد طلعت والى منارة سنتبوس وقد عكست مصابيحها في النهر فقال

ابن سيد اخلعْ على النهر ثوب الســكرا فذالكَ واجبْ
ابو جعفر وانظر الى السرج فيهِ كالزّهرِ ذات الذوائبْ
وحين صفق للافـــق تمّطتهُ الكواكبْ

فقبّل ابن سيد راسهُ وقال ما تركت بعد هذا مقالاً لقائل ثم جعلا يشربان فقال

ابو جعفر اسقني والافقُ بردٌ بنجوم الليل مُعلَمْ
ابن سيد وبساط النهر منهـــا وهو فضيٌ مُدرهَمْ
ابو جعفر ورواق الليل مرخيّ والشذا بالروض قد تمْ
ابن سيد والندى في الزهرِ منثو رٌ على عقدٍ منظّمْ
ابو جعفر والصبا جرّت على ميـــتِ الطلى كفّ ابنِ مريمْ
ابن سيد كان مبهوتًا فلمّا نفخَتْ فيـــهِ تكلّم
ابو جعفر وكأنّ الكأسَ والقهـــوةَ دينـــارٌ ودرهمْ
ابن سيد وبدا الدفّ يناغي ـــ العودَ والمزمـــارُ هيّمْ

ثم لما طلع الفجر قال ابو جعفر

نثرَ الطلُّ عقودَه ونضـا الليلُ برودَه
ابن سيد وبدا الصبحُ بوجهٍ مطلعٍ فبنـا •سعوده
ابو جعفر وغدا ينشر لمـا فتر الليلُ بنودَه
ابن سيد فهلمَّ أشرب وقبِّل من غدا ينطقُ عودَه

بعض المبادىء الماسونية

الماسونيَّة جمعيَّة غرضها حمل الناس على ان يحب بعضهم بعضًا وان يتبعوا الحكمة والفضيلة ويسعوا في طلب الترقي . وموضوعها ابتغاء الفضيلة والتمسك بالآداب وممارسة عمل الخير . ولها مبدآن اساسيان وهما حريَّة الضمير والتكافل البشري. ومن اصولها الجوهرية الاعتراف بوجود الهٍ واحد خالق لهذا الكون العظيم تعبدهُ وتمجدهُ وتسميهِ مهندس الكون والاعتقاد بخلود النفس. وهي تحترم ما لكل احد من اعضائها من المعتقد الديني والمنزع السياسي وتحرّم في مجتمعاتها كلَّ مناقشة في موضوعٍ ديني او سياسي يكون الغرض منها المناظرة في الاديان او القدح في السلطة المدنيَّة . ومن دأْبها ان تنبّه كل واحدٍ من اعضائها الى ان احترام شرائع البلاد التي يتوطنها هو من اول فروضهِ من حيث كونهُ ماسونيًا ووطنيًا ولذلك دخلها الملوك العظام والعلماء الاعلام واحبها كل صاحب فضل بين الانام ولم يعبها الأَّ مَن يجهل كنهها او مَن في عينهِ رمد او في قلبهِ عَمَهٌ فلا يحتمل روْية نور الفضيلة

ولمَّا كان الغرض من الماسونيَّة اصلاح السرائر الانسانيَّة تراها تبذل

الجهد في بث الفضيلة والعمل بها وحسبنا دليلاً على ذلك تشييدها مشاهد البرّ ومحاربتها اسباب المفاسد

والماسونيَّة تعتبر العمل امرًا واجباً كائنهُ فريضة من الفرائض المحتومة على نوع الانسان فتوجبهُ على كل احد من اعضائها وتحرّم العطلة الاختيارية . وتأمر جميع اعضائها المتحدين برابطة الاخاء على وجه البسيطة ان يثبتوا الآداب الماسونية بالقدوة الحسنة واللسان والقلم . وتحتم عليهم ان يوآزروا اخوتهم ويناضلوا عنهم ويحموهم من جور الجائرين

ولما كانت المبادئ الماسونية مطبوعة على قلوب كثيرين من الذين لم ينتظموا في سلكها ولا اخذوا العهد بين اعضائها اعتبرتهم الماسونية كانهم منها ولذلك تحترمهم كلَّ الاحترام وتمدح اعمالهم الصالحة

وقد اتخذ الماسون دستورًا لاعمالهم القول الحق وهو "كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا انتم ايضًا بهم" وتعاهدوا على الجري بموجبهِ وتراهم في كل قوانينهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يكتفون بسن القوانين وتلاوة الفرائض بل يقرنون القول بالعمل ويحث بعضهم بعضاً على اتباع سنن الفضيلة

ولا تدَّعي الماسونية انها تأخذ الذئب فتصيرهُ حملاً والشيطان فتصيرهُ ملاكًا ولكنها تضمُّ في احضانها فضلاء الناس وتحثهم وتحرضهم على اتّباع طرق الفضيلة دائمًا ومساعدة اخوتهم بني البشر على اتباعها . وتاريخ الهيئة الاجتماعيَّة شاهد بان الماسونية قد اقامت بما يُطلب منها . وسيأتي بسط الكلام على ذلك وعلى ما يقارنهُ من احوال الماسونية وتاريخها

اخبار ماسونيَّة

المحافل الماسونية بمصر

تجاه الباب الشمالي من حديقة الازبكية نادي المحفل الاكبر المصري وفيهِ يجتمع محافل كثيرة في اوقات مختلفة كما ترى

يجتمع فيهِ محفل الثبات الموقَّر كل احد مساء

ومحفل السلام الموقَّر كل اثنين مساء

ومحفل حياة مصر الموقَّر الثلاثاء الثانية والرابعة من الشهر مساء

ومحفل الاصلاح الموقَّر الاربعاء الاولى والثالثة من الشهر مساء

ومحفل ماراتون الموقَّر الاربعاء الثانية والرابعة من الشهر مساء

ومحفل الكونكرديه الموقَّر الخميس الثاني والرابع من الشهر مساء

ومحفل كوكب الشرق الموقَّر كل جمعة مساء

ومحفل نور الشرق الموقَّر السبت الثاني والرابع من الشهر مساء

اما النوادي الأُخرى التي تجتمع فيها بقية المحافل فسنأتي على ذكرها في جزء آخر

قرَّر محفل الثبات الموقَّر انعقاد جلساتهِ في كل اسبوع مرة وقدَّم اسعافًا لاخٍ محتاج خمسة وعشرين جنيهًا ولآخر مبلغًا كذلك . فبلسان الانسانية تثني على حضرات رئيسهِ واعضائهِ الكرام

بلغنا انهُ سينشأ حديثًا محفل للماسون في زفتى من القطر المصري والهمة منصرفة لاتمام هذا المشروع الحميد وفق الله الساعين بهِ

من اخبار برّ الشام ان الماسون في مدينتي عكا وحيفا عزموا على تأسيس محفلين فيها والمخابرة جارية بهذا الشأن وبلغنا ان محفل حيفا سيدعى الكرمل

ذكرنا في السنة الثانية من اللطائف وجه ٥٤٨ عن المرحوم امبراطور المانيا السابق انهُ كان ماسونيًا وغيورًا على الماسونية ونزيد على ذلك انهُ ادخل ابنهُ الامبراطور الحالي في هذه الجمعية الشريفة ولما توفي والدهُ بعثت اليهِ الماسونية برسائل التعزية وطلب الشفاء لصحتهِ العزيزة فاجابها يشكرها على ذلك ويؤكد لها تمسكهُ بمبادئها ومحافظتهُ على شعائرها ورغبتهُ في تشييد دعائمها

قلنا وليس هذا الامبراطور الجليل وحدهُ عضوًا في الماسونية ومحبًا لها بل اكثر ملوك الارض منتظمون فيها ويفتخرون بانهم نالوا شرف الرئاسة فيها اكثر مما يفتخرون بالمُلك لان المُلك يتصل اليهم بالارث واما هذه فبالاهلية والاستحقاق

هذا وقد ارسل ايضًا ملك اسوج وولي عهد الدنيمارك رسائل الاخلاص والمحبة الى الشرق الالماني الاعظم وفيها يعلنان انهما شديدي التعلق والتمسك بالعائلة الالمانية الماسونية

فما قول الجزويت الذين يقولون ان الماسونية غرضها هدم اركان الدين والسياسة

بلغنا انهُ سينشأ حديثًا في القاهرة محفلٌ ماسونيٌ تابع لمحفل فرنسا الاكبر رئيسهُ احد نواب الدول الفخيمة وهو مشهور بغيرتهِ الماسونية وعلمهِ وفضلهِ فنتمنى لهذا المشروع الجديد تمام التوفيق والنجاح

مزية الماسونيّة على الجزويتيّة

لا يليق بنا ان نقابل بين الماسونيّة والجزويتيّة في امرٍ من الامور
أَلم تدرِ ان السيف ينقص قدرهُ اذا قيل ان السيف امضى من العصا
ولكن هنا حقيقة قلَّما يُنتَبه اليها وهي ان اكثر اموال الماسون تنفق على الارامل ولا سيما ارامل اعضائهم الذين توفوا . واكثر اموال الجزويت مجموعة من الارامل فانهم متى دروا بارملة غنيَّة احاطوها بالحبائل والاشراك يخوّفونها من العقاب مرة ويرغبونها في الثواب أُخرى الى ان يبتلعوا منها مالها . وقد جمعوا بهذه الواسطة ثروةً واسعة لا يأْخذها الحصر. ولا يغرنَّك انشاؤُهم للمدارس وطبعهم للكتب فانهم لا يعلِّمون تلميذًا الاَّ ويأْخذون على تعليمهِ اضعاف ما تأْخذهُ المدارس الأُخرى فمرتَّب التلميذ في كل مدارس بيروت من عشر ليرات الى عشرين ليرة ومرتَّب التلميذ في مدرستهم من ثلاثين الى اربعين. ولم يطبعوا كتابًا الاَّ مما تروج سوقهُ فيعيدون طبعهُ مرارًا ويربحون فيهِ الربح الوافر وهذه تجارة لهم اوقفوا بها المطابع . ومتى راج الكتاب كثيرًا وصارت المدارس تعتمد عليهِ رفعوا ثمنهُ لكي يزيد ربحهم ربحًا . وهم السبب في أن آلدولة العلية منعت اخراج الكتب التي لم تصادق عليها من مدينة بيروت وكان المنع موجهًا بالاكثر الى كتب الجزويت ولكنهم هم استفادوا من هذا المنع لانهم جعلوا يهرّبون الكتب تهريبًا الى مصر وغيرها من الجهات فغلت اسعارها هنا بسبب المنع الظاهر وانحصر الربح بالجزويت الذين هم ادرى الناس بصناعة التهريب والغش . ولا نريد ان نطيل الكلام الآن في مساوى‌ء الجزويت ومضارهم في بلادنا حتى في الامور التي يدَّعون ان منها النفع الاعظم

فقد ارجأنا ذلك الى فرصةٍ أُخرى نكشف فيها الغطاء عن اعمالم لا انتقامًا منهم بل اظهارًا لشرّهم ومنعًا لضرّهم والله الموفق الى الصواب

دخل من عهدٍ قريب في محفل كوكب الشرق الموقَّر اثنان من امراء مصر وعلمائها المشهورين بالعلم والفضل فنهنئهما بذلك ونهنئ محفلها بهما

سينشأ قريبًا محفل للماسون في دمنهور باسم ثمرة اللطائف فنرجو لهُ توفيقًا واقبالاً. والآن يهتم الماسون في مدينة اسيوط بانشاء محفل هناك باسم الصعيد وفقهم الله الى انشائهِ

بمزيد الاسف ننعي الى اخوتنا الماسون خبر وفاة اخينا المرحوم ابرهيم نجيب من اساتذة المدارس الاميرية. وكان رحمهُ الله فاضلاً مجتهدًا في اعمالهِ خدم الماسونية بامانة وقلّد وظيفة امين الصندوق في المحفل الاكبر المصري وفي محفل حياة مصر. عزّى الله عائلتهُ واخوانهُ واصحابهُ عن فقدهِ واسكنهُ فسيح جنانهِ

باكورة اعمال الماسون في طنطا

عيَّن ماسون طنطا احد مشاهير اطبائهم لتطبيب الفقراء مجانًا سواءً كانوا من الماسون او من غيرهم. وهم الآن يتداولون في انشاء مدرسة صناعيّة لكي يتعلَّم فيها اولاد الفقراء والاواسط ما يمكّنهم من اكتساب اسباب المعيشة ويعود على الوطن بالفائدة الكبيرة. وقد زارهم في اواسط الشهر الماضي مفتش عموم المحافل الماسونية الفرنسوية في القطر المصري فرأى من همتهم ونظامهم ما اطلق لسانهُ بالثناء عليهم

ن . ش

مشورات

انسنا بلقاء جناب صديقنا الاديب رفعتلو محمد افندي سلطاني من وجهاء مدينة بيروت اتى هذا القطر قصد تبديل الهواء فسرَّ بهِ اصدقاؤهُ. وبينما هو في ادارة المقتطف بلغنا خبر تولي الوزير الخطير صاحب الدولة والاقبال رياض باشا الافخم رئاسة مجلس النظار فاخذ قلمًا ونظم القصيدة الآتية وهي تعرب عمّا في ضمائرنا ايضًا قال :

بزغت شموس الانس في الاكوانِ اذ عاد كنزُ الفضل والعرفانِ
وتفاخرت مصرٌ وباهت شرقنا شرقًا بمظهركم على كيوانِ
يا ايهـــا المولى الذى آلاؤهُ عزَّت على الاحصاء والتبيانِ
افرحتَ آل المصطفى بالعود في . عيد اعاد امانهم بامانِ
وبذكركم عدَل الزمان فلم نجد اذنًا لسمع طوارق الحدثانِ
يا من غدا عَلَمًا بكل فضيلةٍ وهو الملاذ الفرد للاوطانِ
لله كم من حكمةٍ ابدى لنـــا التوفيق ربُّ الفضل والاحسانِ
مولًى اذا مـــا لاح فكرٌ ثاقبٌ منهُ يخرُّ الدهرُ للاذقانِ
ذو همَّـــةٍ لو شاء. يصعد للعلا لرأى المجرَّة غُرَّةَ الميدانِ
حلمٌ بهِ لا شيءٌ معنٌ عندهُ وكذاكَ كسرى العدل في الايوانِ
لو لم يكن الاَّ اختيارك عندهُ لكفى على مـــا قلتُ من برهانِ
مصرٌ بتوفيقٍ ادبهِ رياضها محسودةٌ من سائر البلدانِ
لا زلتما واليكما في المجدِ حسَّـــادٌ وعمرتم مدى الازمانِ

ولأَنكَ رأس وزارةٍ ويقينهُ ستكون بالاصلاح موسى الثاني
فأقدمْ بلا امرٍ عليك وكن لهُ هارون حزمٍ في بني عمرانِ
وابترْ اذا ما شئت كل معاندٍ فلقد حبتكَ عناية المنانِ
ودليل ذا نشر الخلائق حمدكم ومديحكم يسري بكل مكانِ
وبيوم عودكَ خلت من فرح الملا ان القلوب تهمُّ بالطيرانِ
وبذكرنا أسمك يا رياض زهورنا نشرت عبير المسك للاكوانِ
وتمايلت دوح النجاح وزخرفت جنات مصرَ وأشرقَ الهرمانِ
فاقبل رعاك الله مدحة عاجزٍ اوصافكم اولتهُ حسن معاني
واقضِ على مرّ الزمان بصحةٍ صومًا وفطرًا في هنا وامانِ
ما اشرقت شمس الضحى او غرَّدت في لحنها الاطيار في الاغصانِ

قد نال حضرة الوجيه الامثل حسن افندي ابي طالب صاحب امتياز جبل الفشن اجازة من نظارة الاشغال العمومية من قسم مصلحة الآثار التاريخية بمصر للحفر في "الحيبة" بمديرية المنيا بقسم الفشن وهذه الاجازة تمتد من بعد عيد الفطر الى خمسة عشر يومًا وسيجلب كل ما يجدهُ من الآثار الى الانتيكخانة الخديوية حيث يأخذ جزاء اتعابهِ فنشكر للحكومة السنية التي اناطت هذا الهام بهذا العمل ونتمنى لهُ النجاح في عملهِ

سمر البيان

يحكى ان رجلين من اكابر العلماء ذهبا الى صديق لهما فلما اتيا الباب جعل كلٌّ منهما يتاخَّر عن رفيقهِ في الدخول حتى اقسم احدهما على الآخر الّا دخل قبلهُ فدخل وقال اذن اكون حاجبًا فقال صاحبهُ والحاجب على العين

بعض خرافات اهل الصين

اذا قرأَ الانسان خرافات غير قومهِ استصغر عقولهم وهزأَ بهم لتصديقهم اياها. وقد ادرجنا هنا بعض خرافات اهل الصين آملين انها تنبه القرّاء الى ما في التصديق بخرافاتنا من الجهل وقلة العقل

من خرافات اهل الصين انهُ اذا وقعت ذبابةٌ في الطعام او اقتتل ديكان كان ذلك علامةً على مجيءِ ضيفٍ . كما ان حك الهرة اضافرها بالحصير يحسب علامةً على مجيءِ الضيف عندنا * ومن خرافاتهم انهُ اذا صاح الديك قبل نصف الليل تطيروا بموت واحد من اهل البيت فيهبونهُ او يبيعونهُ سرًّا لانهُ لا يشتريهِ احدٌ اذا عرف انهُ صاح قبل نصف الليل . ويعلقون اطارةً على باب البيت. وذلك يشبه تطيُّرنا من الدجاجة التي تصيح شبه صياح الديك * ومن خرافاتهم انهُ اذا عطس انسان وهو ذاهبٌ لينام ليلة راس السنة كان ذلك دليلاً على ان السنة المقبلة تكون سنة نحسٍ عليهِ ما لم يذهب الى ثلثة بيوت مختلفة الاسماء ويستعطي منها ثلاثة اقراص على هيئة السلحفاة ويأْكلها قبل نصف الليل . وذلك يشبه اعتقادنا بان اختلاج الجفن الايمن دليل على دنوّ الغيظ والكدر الشديد وان "الجلجل" يزول من جفن صاحبهِ اذا تسوَّل من سبع مريمات

ومن خرافاتهم انهُ اذا عطس الرجل كان ذلك دليلاً على ان زوجتهُ تذكرهُ كما انهُ اذا طنَّت اذن الانسان عندنا دلَّ ذلك على ان غيرهُ يذكرهُ . او اذا عطس الطفل وآخر يتكلم كان عطاسهُ دليلاً على صدق كلامهِ * ومن خرافاتهم ان كثرة الشعر على راس الصبي متى كبر دليل النحس ولذلك يحلقونهُ

ويتركون لهُ ذؤَابة تتدلَّى من قرص رأسِهِ . وكثرة الشعر عندهم علامة الحِمل الثقيل على الرأس والذوَابة الغليظة تجرُّ اليتم على صاحبها فيقع همُّ البيت على منكبيهِ . وذلك كتطيُّرنا بروْية المرأة تمشط صباحًا اعتقادًا منَّا بان روْية شعرها تجلب النحس وتقطع الرزق

ومن خرافاتهم انهم يخافون ان يسكنوا الفراش اعتقادًا بان ارواح الموتى تدخل ابدان الفراش لتعود وترى ما يجري بعدها . كخوف الكثيرين منا ان يبصقوا او يصبوا ماء على الارض الاَّ بعد طلب الاذن لئلاَّ تثور بهم الارواح الساكنة فيها * ومن خرافاتهم ان المرأة لا تطعم ولدها من صحن ولا من طاس بل من فنجان اما الصحن فلانهُ قريب القعر فيحدث في ولدها القيء على اسهل سبيل واما الطاس فلانهُ واسع فيخشى ان يجعلهُ اكولاً واما الفنجان فلانهُ صغير بعيد القعر فيبقى طعامهُ في جوف الولد ولا يجعلهُ اكولاً

شجاعة الملوك

حُكي ان موسى الهادي كان يومًا في بستان ومعهُ اهل بيتهِ وبطانتهُ وهو راكب على حمار وليس معهُ سلاح فدخل عليهِ حاجبهُ فاخبرهُ ان رجلاً من الخوارج جيء بهِ اسيرًا وكان الهادي حريصًا على الظفر بهِ فامر بادخالهِ فادخل بين رجُلَين قد امسكا بيدهِ فلما رأى الخارجي الهادي جذب يديهِ من الرجلين اللذين كانا يمسكانهِ واخترط سيف احدهما ووثب نحو الهادي . ولما رأى ذلك مَن حول الهادي من اهلهِ وخاصتهِ فرُّوا جميعًا وبقي الهادي وحدهُ فثبت على حمارهِ بمكانهِ حتى اذا قرب الخارجي منهُ وكاد يعلوهُ بالسيف قال الهادي اضرب يا غلام عنقهُ فالتفت الخارجي حين سمع ذلك ووثب الهادي عن سرجهِ

فاذا هو على الخارجي والخارجي تحتهُ فقبض الهادي على يديهِ وانتزع منهُ السيف فذبحهُ بهِ ثم عاد الى ظهر حمارهِ وتراجع اليهِ خاصتهُ واهلهُ يتسللون وقد ملئوا رعبًا وحياء وما خاطبهم في ذلك بحرف واحد ولم يكن بعد ذلك يفارقهُ سيف ولم يركب الاَّ الخيل وقد جلا عنك هذا الخبر ما أيد الله بهِ موسى الهادي من ثبات الجاش وإصالة الراي وشدة الكبد وشجاعة القلب والبدن

هديّة سنيّة

قيل ان بعض اراكنة (رؤساء) الهند أهدى الى كسرى انوشروان هديَّة بعزُّ نظيرها بين ملوك هذا الزمان وهي سيف طولهُ خمسة اشبار ولونهُ لون النحاس الاصفر يعمل في الحديد كما يعمل غيرهُ من السيوف في الرصاص. وصحفة من الياقوت الازرق تسع منا من الطعام وكأس من الزمرد البحري تسع رطلاً من الشراب والف درة فريدة وقنديل من المها فيهِ ياقوتة حمراء كبيضة الحمام اذا علق في بيت فيهِ مصباح ليلاً القى شعاع الياقوتة على الالوان القابلة المحمرة فلا يشك في حمرتها . وطيب كثير ودروع ودرق وغير ذلك

عدل الملوك

يحكى انهُ في القرن الثالث عشر للميلاد وقع خلاف بين شارل كونت انجو اخي لويس ملك فرنسا وبين رجل من اعوانهِ على اراضٍ ادَّعاها كلٌّ لنفسهِ فترافعا الى قاضي انجو فحكم القاضي لاخي الملك . فاستأنف الخصم دعواهُ الى مجلس الملك فحنق عليهِ اخو الملك واودعهُ السجن . فلما علم الملك بذلك احضر اخاهُ وقال لهُ أتزعم انك اعلى من حكم الشريعة لانك اخي . أطلِق الرجل من سجنهِ ودعهُ يأتي ويرفع دعواهُ امام قضاة الملك حتى

بأخذ كلُّ ذي حقٍّ حقَّهُ . فاطلقهُ .وطلب الرجل وكيلاً يحامي عن حقوقهِ في المحكمة فلم يجد لأن المحامين امتنعوا مداراةً لاخي الملك . فعين لهُ الملك محامين من قبلهِ ورُفِعت الدعوى الى محكمة الاستئناف فنظر فيها القضاة اهل الاستقامة والانصاف وحكموا للرجل فاسترد املاكهُ وحمَّلوا أُخا الملك نفقات الدعوى كلَّها

العطاس

كان اليونانيون يقولون لمن يعطس "عش" او "فلتحفظك الآلهة" والرومان يقولون "دُم بالسلامة" واليهود يقولون حتى الآن "حايم طوبيم" ومعناها فليكن عطاسك لحياةٍ طيبة . والى الآن في بعض انحاء سورية يقول مَنْ يعطس " يا الله فرجك" والناس تقول لهُ "نشو" . قال بعضهم

عطست اليوم يا هذا فقال الناس لي نشوه

وبعض السود اذا عطس امامهم غريب يغتاظون منهُ حاسبين عطاسهُ احتقاراً

أنا نشكر لمحفل سورية في دمشق وجمعيةً باكورة سورية وجمعية نائلات الشهادة في مدرسة البنات الانجيلية على تحارير التعزية التي تكرموا علينا بها . لا اراهم الله مكروهاً

ضاقت صفحات اللطائف عن جوابنا على ما جاء في عدد ٩٢٥ من بشير الجزويت المنافقين وموعدنا في ذلك الجزء القادم ان شاء الله